

تحديات الأدب الشعبي الجزائري في ظل ثقافة العولمة

The challenges of Algerian folk literature  
in the light of globalization culture

<p>فطيمة بلبركي المركز الجامعي (سي الحواس) بريكة- باتنة (الجزائر) belberkifatima1978@gmail.com</p>	<p>حسينة حماشي المركز الجامعي (سي الحواس) بريكة- باتنة (الجزائر) hassinahammachi@gmail.com</p>	<p>السعيد ضيف الله * المركز الجامعي (سي الحواس) بريكة- باتنة (الجزائر) said.difallah@gmail.com</p>
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------

معلومات المقال	Article info
<p>تاريخ الارسال: 2022/02/27 تاريخ القبول: 2022/04/18</p> <p><b>الكلمات المفتاحية:</b> ✓ حكاية شعبية ✓ مثل شعبي ✓ لغز شعبي ✓ أغنية شعبية ✓ عولمة</p>	<p>Received 27/02/2022 Accepted 18/04/2022</p> <p><b>Keywords:</b> ✓ folk tale ✓ like folk ✓ folk riddle</p>
<p>الأدب الشعبي الجزائري فن قولي يشكل في مجمله تراث البلد، ويرسم معالمه، يتحوّر ليتأقلم مع متطلبات التجديد دون أن ينسلخ عن أصله أو يتنكر لأسسه، وهذا ما حجز له كرسي التفرد في إثبات محتواه الزاخر بالقيم النبيلة والسلوكيات الفاضلة. والتي غيبتها العولمة بإبعاد الفرد عن ماضيه وإهائه بمغريات الحضارة الغربية البعيدة كل البعد عن الدين الإسلامي وأخلاقه. سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية طرح جملة من الإشكاليات منها: ✓ ما مدى مساهمة الأدب الشعبي الجزائري بمختلف عناصره في تأصيل التراث؟ ✓ إلى متى سيستمر صمود الأدب الشعبي في وجه العولمة راهنا ومستقبلا؟</p>	<p><i>The struggle of Algerian Popular Literature to withstand the tinsel of globalization Algerian folk literature is a verbal art that -in its entirety- constitutes the country's heritage, draws its features, mutates to adapt to the requirements of renewal without shedding its origin or renunciation of its foundations. Which is obscured by globalization by keeping the individual away from his past and distracting him with the temptations of Western Civilization far from the Islamic religion and its morals.</i></p>

*We will try, through this research paper, to pose a number of problems: How much does Algerian popular literature contribute to the rooting of heritage? How long will the steadfastness of popular literature continue in the face of globalization, now and in the future?*

- ✓ folk song
- ✓ globalization.

## مقدمة:

عالم الأدب الشعبي عالم العفوية المغممة بالمغزى الخفي وراء النفسيات المهمة، والرموز الموحية إلى دلالات تختلف باختلاف رغبات الأفراد المختلفة.

إذا نظرنا إلى الأدب الشعبي لأيّ أمة "فهو أدب عاميتها، التقليدي الشفاهي وهو ينقسم إلى أشكال تعبيرية، تنضوي على النتاج السردي الذي يحوي في ثناياه القصص الشعبي والأساطير والحكايات الخرافية والحكايات الشعبية والنتاج الشعري، وأيضا الأشكال الأدبية القصيرة التي تجمع بين النموذجين كالأمثال والألغاز الشعبية" (بلحاجي، 2019، صفحة 196) فهو أداة تواصل الأديب مع متلقي منتجته، كونه رسالة هادفة لها أبعاد متباينة تحمل في طياتها مقومات ثقافية تعكس مرجعيات تراثية شعبية، فتسهم في بلورة الهوية حفاظا عليها من الدوبان والانصهار في الآخر لضمان تجددتها المشروع واستمراريتها المشروطة من خلال التوارث، فهو الحامي للأخلاق من الطمس، والثقافة من الدس، والقيم من الاندثار والزوال كونه "رباط وثيق بكلّ أمة، يولد معها ويتعرع بجوارها و يتربى في تربتها، ويرضع من ثديها، ويجتر كلّ الحياة حلوها ومرها بلا تباطؤ، فإذا هو بعد ذلك أدب شعبيّ ثمين بالالتصاق بهذه الأمة، مكن في روحانيته متشبّث في قاعدتها غائص في أعماقها، فيصير ترجمة لها عنوانا" (سعيد، 1998، صفحة 10) فهو عنفوانها أمام الأمم وصورتها الخالدة للأجيال والتي لا تقبل التصحيح إذا رسخت في الأذهان، ليكون بذلك الكنز الثقافي معزّ الأمة ومُذللها "فعلى كلّ أمة فقدت آدابها الشعبية، حقّ لنا أن نترحم عليها ونتقبل العزاء فيها، بل جسد خائر بلا قيمة فلنصبق جميعا على أمة انتكست هذه النكسة ونبذت أهم محرك لها" (سعيد، 1998، صفحة 13) أما ما جعل المجتمعات تتشبّث به إلى درجة التقديس فهو كونه مخزونها من التجارب والخبرات، فهل مازال مؤدياً لوظيفته محافظا على الأمانة، وإلى أي مدى يستطيع الصمود أمام العولمة راهنا ومستقبلا؟

## 2. عناصر الأدب الشعبي وتأصيل التراث

عناصر الأدب الشعبي هي بمثابة الأعضاء التي باجتماعها يتكون جسم الموروث الشعبي، يسري فيها الدّم النقي نفسه، تسعى إلى تشكيل هويته وكيانه، فكيف يعمل كلّ عضو على ضمان حياة هذا الكائن الفتي واستمرار نبضه؟

### 1.2 عراقة التراث والحكاية الشعبية:

تعدّ الحكاية الشعبية الجزائرية شكلا من أشكال التعبير الأكثر تداولاً بين أفراد المجتمع الجزائري، فهي المرآة العاكسة لواقع الأمة وللوجه الحقيقي للشعب والصورة الجذابة لأفكاره ومعتقداته، مما جعل رسوخها في الذاكرة مذهل، كونها ليست من نتاج مؤلف بعينه، فهي "قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأنّ هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلا عن جيل عن طريق الرواية الشفوية" (إبراهيم ن.، د، ت، صفحة 92) لتتشكّل بذلك المخيلة الجمعية المتأثرة بعوامل متعددة كالدين، اللغة، والعادات والتقاليد مما يُوقع على متلقّيها أثرا نفسيا، ثقافيا واجتماعيا.

فوظيفتها تعليمية تربية تساعد على اكتساب الملكة اللغوية عند الأطفال خاصة، سواء من خلال الاستماع المتكرر للحكاية أو من خلال تنوع أساليبها وثراء ألفاظها بالدلالات والإيحاءات التي تدعم رصيدهم اللغوي، والتي تكون فائدتها أعم عندما تتوالى أسئلة الأطفال عن بعض المعاني التي تتولّد عنها أفكار ترسخ في الفكر عن قناعة بجودها، وبالتالي تُبنى شخصيته وفقا لها

سواء لغويا، نفسيا، ثقافيا أو اجتماعيا من خلال غرس قيم وتقاليدها مدروسة في ذهن الأجداد، تقدّم بلغة يومية مبسّطة من خلال المتن الحكائي الذي يرتبط بصورة مباشرة بموضوعها، من خلال أوامر ونواه موجّهة إلى المتلقّي كي يمتثل لها كالصدق والأمانة أو يقتدي بها كالإيثار والكرم أو ينتهي عنها كالكذب والخيانة، كلّ حسب سياق الأحداث الواردة فيها، ليترجمها فيما بعد إلى سلوكات مجسّدة على أرض الواقع.

كما لفحوى الحكاية الشعبيّة الجزائرية دور كبير في ضبط السلوكات والتحكّم فيها، حيث نجدتها في كثير من الأحيان توجّه أو تحفّز إلى كلّ ما فيه صلاح للفرد والمجتمع من تعاون و تضامن ... وتنبذ وتنقّر مما فيه إخلال بتماسكه من خلافات وظلم وغيرها، لتؤدّي وظيفة التّربية والتّعليم عن طريق المتعة، التّرفيه والتّسلية.

وما أسهم في تسهيل مهمتها وساعدها في تحقيق أهدافها، كونها مشافهة وباللغة المحلية المعروفة لدى العام والخاص لتكون الأنسب لتبليغ الرّسالة، كذلك كون القاص من أهل المنطقة، فهو الأدرى بخفاياها. لذلك نجده ينتقي ما يخدم غايته باعتماد أحداث من الواقع المعاش في الأسرة أو القبيلة أو المجتمع في نطاق أوسع لتكون في ظاهرها حكاية، لكن ما وراء الحكاية إصلاح وتغيير للنظم ونصرة للشعب وإخراجه من أسر عبودية الجهل والآنظام، كما يُشترط فيه مراعاة ذوق العامة والإمام بالحالة النفسيّة والاجتماعية والثّقافية لقومه ليكون بذلك حكيما، ناقدا، مربّيا ومعلما يجعل من يسمعها يعيش زمن الماضي (الأجداد) دون التّواجد فيه، ليزرعه في زمن المستقبل (الأبناء والأحفاد) فيضمن تداولها جيلا عن جيل، وخير دليل على ذلك "أنّ هذه القصص ربطت بين الفرد وبين التّراث العربي الإسلامي واستمر جيلا فجيلا حيّا في ضمائر النّاس وعلى ألسنة الرّواة. وإذا كان المجتمع قد تعرّض للمدّ والجزر، فإنّ المتلقي وهو الشعب، قد بقي وفيّا لهذا الماضي ... بل وكان القصص الشعبي حافزا للنّاس على التّشبّث بالقيم السّامية التي توارثها على مرّ الأيام، وبذلك كانت القصّة الشعبيّة ذات هدفين، هدف أدبي وهدف أخلاقي واجتماعي، ويكفي أنّها ملأت فراغا كبيرا في حياة النّاس" (قريش، 2007، صفحة 233)، رغم سذاجة محتواها في أحيان كثيرة، كون أرضيتها هشّة وغير خصبة لتغذيتها من الأساطير والخرافات، لكن يبقى الإقبال عليها لا نظير له لأنّها المنتقّس الشعبي الذي لا قيود له، هروبا من عالم الواقع المخضب بالأناية والكره، فلا واقع يحدها؛ فهي استنطاق للحيوانات والقوى الغيبية والكائنات الخارقة من جن وغيلان، لتنتج ما يعرف بالحكاية الخرافية التي "تكونت في الأصل من أخبار مفردة نبعت من حياة الشعوب البدائية ومن تصوراتهم ومعتقداتهم، ثم تطوّرت هذه الأخبار واتّخذت شكلا فنّيّا على يد القاص الشعبي" (ابراهيم، د ت، صفحة 58) وكذلك الأسطورة كونها "قصّة خرافية أو تراثية وعادة ما تدور حول كائن خارق القدرات وأحداث ليس لها تفسير طبيعي" (فتحي، 1986، صفحة 67) لأنهما تبحران بالمتلقي في عالم اللّامنطق واللامعقول، وتطغى عليهما النّسبية التي يقوم على أساسها المتخيّل فيعطي معنا فلسفيا للحياة يتماشى والفكر البسيط السّاذج للإنسان البدائي، والذي لا يحيد عنه الإنسان الحديث كثيرا حين لا يجد تفسيراً لظاهرة معينة.

### 2.2 تجذّر التّراث والمثل الشعبي:

شكّل المثل فنا من فنون القول الشعبي الجزائري، ونصا شفوي له مورد ومضرب فهو "قول قصير مشبع بالدّكاء والحكمة" (ابراهيم ن.، د ت، صفحة 146) له طرفان أساسيان هما القائل أو الناقل والمستمع أو المتلقي، يحدّدان مدى فاعليته وتحقيق الغاية المرجوة من صياغته المرتبطة ارتباطا وثيقا بالواقع المعاش، ليكون له زمان ومكان معينين، وبما أنّه قليل التّكلف قويّ الدّلالة عرف تداولا لا متناه، وكُتب له العيش عبر العصور والانتشار على أوسع نطاق، واخترق سهمه العقل والعاطفة فسَهّل حفظه وجمعه وتصنيفه، وزاد تأثيره من خلال خصائص لم تحض بها باقي عناصر الأدب الشعبي، كما قال إبراهيم النّظام "يجتمع في المثل أربع لا يجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التّشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ورمزية الأمثال أنّها تنبع من كلّ طبقات الشعب" (حمد، 1981، صفحة 27) فهو كلام يسير الألفاظ عميق المعاني، يلخص خبرات واقعية صادقة، يعتمد التّشبيه والكناية لربط المحسوس بالملموس وتأكيد المعنى، كما نجد له خصائص

أخرى: (إبراهيم ن.، د ت، صفحة 139)

أولاً: المثل خلاصة التجارب ومحصول الخبرة.

ثانياً: المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم.

ثالثاً: المثل يتمثل في الإيجاز وجمال البلاغة.

وقد ورد منه نماذج كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: "تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (سورة إبراهيم، الآية 26) وكذلك قوله: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ" (سورة البقرة، الآية 26) والهدف منها كشف بعض الخبايا التي يجهلها الناس فيوجههم إليها كي لا يغفلوا عنها. كما لا يخلو الحديث النبوي الشريف منه، حيث نجد في قوله صلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير من اليد السفلى) أخرجه البخاري (1427)، ومسلم (1034)، والنسائي (2543)، جاء المثل للامثال بما جاء فيه والتشبه بالمواقف الواردة فيه بأخذ العبرة منها والعمل بها وبالتالي إحداث التغيير بعد التأثر، والمهم فيه هو مضربه لكي يوظف في مقامه المناسب، وأن يردّد في حادثة مشابهة للمورد.

لقد ساهمت بساطة لفظه في سهولة حفظه وتداوله، مما أدى إلى سرعة انتشاره واتّسع نطاق شيوعه، لتتوارثه الأجيال أبا عن جدّ وتلوكة الألسنة على مختلف شرائح المجتمع واختلاف أعمارهم وأجناسهم ومستوياتهم الثقافية فهو "ليس حكراً على فئة دون أخرى، بل هو نابع من جميع طبقات الشعب" (أمين، د ت، صفحة 61) كما تتعدّد قضاياها بتعدّد مشكلات المجتمع. وما زاد في أصالته وعدم اندثاره مهما طالّت الأزمان وتطوّرت الحياة، كونه قولاً موجزاً مسجوعاً خال من الخيال، يحمل في ثناياه حكمة وموعظة لا تستغني عنها الأجيال مهما بلغت من العلم والتطور، رغم أنّه نتاج فرد لكن تتداوله الجماعة، وتسعى إلى انتشاره وديمومة فائدة الماضي على الناشئة التي تستحضره من الذاكرة وقت الحاجة إليه، فتعمل وتستدل به لدعم الرأي أو الإقناع بفكرة، رغم تغير بعض ألفاظه فلا يثبت على صيغة واحدة في بعض الأحيان، وهذا ما يُعرف بالتعدّد، لمواكبة العصر بحكم لغته العامية وأسلوبه الأدبي الرّاقى دون الخضوع للقواعد؛ ومنها ما يكون تحريفاً متعمداً.

و من أهم أهدافه أنه: "سلاح قوي يشهده العامة في مواجهة الشذوذ والانحرافات الاجتماعية، أيّا كانت، وأنّه سياج من القيم، يضربه المجتمع من حوله، ليحمي نفسه، وعاداته وتقاليده، وشخصيته المتميّزة، ومن هنا يأخذ المثل بعداً آخر يتعلّق بالتّشريع الاجتماعي، ولئن أخذ المثل دور النّاصح الذي يدعو إلى ما ينبغي أن يسود ويشير إلى ما ينبغي أن يزول، فإنّه قد فرض الشّروط، واستنّ اللوائح والقوانين، التي تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض، من ناحية وبينهم وأولياء أمورهم من ناحية ثانية، وبينهم وبين خالقهم من ناحية ثالثة... ولئن كانت التشريعات القانونية اتخذت مصدراً رسمياً لتنظيم العلاقات الإنسانية؛ فإنّ الأمثال بدورها قد اتخذت مصدراً لتشريع العادات الشعبية وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية" (نعمان، 1988، صفحة 448) ليكون بذلك صورة صادقة عن حضارة شعب وطريقة تفكيره وضوابطه من معتقدات وعادات وتقاليده، ليمثل همزة وصل بين ماضي الأجداد وحاضر الآباء ومستقبل الأبناء والأحفاد، وتأثره بكل موروث يربطه بأصالته، فيبرز كلما تكرر الحدث أو وقع موقف مشابه لنستفيد منه ونعمل من أجل نتيجة أحسن، فما المثل إلّا نقد للمجتمع وتصوير لمتناقضات الحياة. يقدم في أحيان كثيرة نتيجة أعمال لم نقم بها، لكنها خلاصة تجارب من قبلنا حتى يجنبونا الوقوع فيها، فهو نبع لا ينضب من العبر والعصا، وجلّ الأمثال تأتي بأسلوب نهي عن كلّ ضار مسبّب للفساد، أو أمر بما فيه صلاح الفرد والمجتمع، لتكون بمثابة موجه للخير والصّواب، كونه مصاحب للشّخص يعلمه سبل الخير والرّشاد، فيقوم علاقاته مع غيره ومع خالقه، فتتهدّب

التفّس ويتعلّم الفرد بعد أن ينهل مما تزخر به من قيم نبيلة وأخلاق فاضلة، مستمدة من تنوع وثراء موضوعاتها التي تغطّي مختلف مناحي الحياة اليومية في قالب هزلي، يستحضر الماضي ويؤصّله بما يخدم التّقدم والازدهار في مختلف مجالات الحياة.

### 3.2 تثبيت التّراث واللّغز الشعبي:

رسم اللّغز الشعبي الجزائري طريقه "كشكل أدبي شعبي قديم قدم الأسطورة والحكاية والخرافة، كما أنّه كان يساويهما في الانتشار... واللّغز في جوهره استعارة، والاستعارة تنشأ نتيجة التّقدم العقلي في إدراك التّرابط والمقارنة وإدراك أوجه الشّبه والاختلاف، على أنّ اللّغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة..." (إبراهيم ن.، د ت، صفحة 156) فهو بذلك مجموعة من الاستعارات والكنائيات والمجازات، يطلقها شخص حكيم فهيم -يصعب تحديده- كنوع من الاختبار يكشف من خلاله قدرة الممتحن على الفهم وحدة ذكائه وفطنته، ومدى ربطه بين المعنى الظّاهري للّغز والمعنى الباطني المراد من وراء طرحه، باستكشاف وجه الشّبه بين المعنيين، فيكون تمرينا لعقله وكشفا لفراسسته دون إنكار وجه الفكاهة فيه والرامي إلى التّسلية والترفيه.

وما ساهم في ذبوعه كشكل شفوي-جمع ودوّن فيما بعد-، التّوقيع الصوتي المتمثل في تناسق الأصوات وانسجامها الناتج عن اعتماد السّجع الذي يحدث نغما موسيقيا تركز له النفس فتستريح، كما قد تتعدّد الصيغ المعبّرة عن اللّغز نفسه، مرتكزة على الرّمز الذي يُعدّ جوهره وأساسه، فهو الذي يضفي عليه الغموض والإبهام مع ترك قرينة تتحكم فيها عبقرية المبدع الذي يبث في المتلقي حبّ البحث الدائم والتنقيب عن حلّ اللّغز، ممّا يعني أنّه لم ينتج صدفة بل لأغراض أخرى غير التّرفيه والتّسلية، والتي تكون في أغلبها تعليمية تخضع لتقنية (سؤال/ جواب) تُجبر المتلقّي على التّحليل والاستنتاج وفق معطيات، كما أنّه يوصل إلى معلومات دينية أو تاريخية من التّراث... بطريقة محبّبة بعيدة عن التلقين تُحيي الموروث بمختلف زواياه، لتصبح بدورها تراثا جزائريا شعبيا خالدا يتعمق في حقائق متعدّدة من أسرار الحياة والعيش.

### 4.2 ترسيخ التّراث والنّكتة الشعبيّة:

برزت النّكتة الشعبيّة الجزائرية كعنصر مهم من عناصر الأدب الشعبيّ فهي "نتاج أدبي ينبع من الاهتمام الرّوحي الشعبيّ، شأنها شأن الحكاية الخرافية والحكاية الشعبيّة والأسطورة واللّغز... لكنها تتميز عن هذه الأشكال بأنّها تعين في يسر على تحديد الزّمان والمكان اللذين نشأت منهما... والنّكتة خبر قصير في شكل حكاية، هي عبارة أو لفظة تثير الضحك" (إبراهيم ن.، د ت، صفحة 178) تتقاطع بشكل كبير مع القصّة والحكاية لما بينهما من عناصر مشتركة، لتكون بذلك "عبارة عن قصة قصيرة جداً تتميز بطبيعتها الدرامية، أما أنّها تتميز بتصعيد الحدث ونهايته بطريقة فجائية تركز فيها الفكرة الأساسية في النّكتة" (الجوهري، 2006، صفحة 44) مما يعني أنّها تتميز بوحدة الموضوع؛ حيث تعالج قضية من قضايا المجتمع المعبرة عن عاداته وتقاليده، وتجمال في متنها تجارب شعبه وتعكس جوانب مختلفة من تفكيرهم، تحت صبغة فكاهية ترفيهية، كما نجدتها ترصد العيوب المنتشرة فيه قصد معالجتها بأسلوب بعيد عن الأمر والنّهي، فتوجه الفرد وتعمل على تقويم سلوكه؛ عن طريق الموعظة المقدمة على شكل رسالة، يكون فيها الاستعمال اللّغوي المزدوج داخل غلاف السّخرية الهادفة، وما جعلها تنجح في تبليغ محتواها الفكري والفنيّ، هو خفّتها وعدم تكلفها اللفظي وجمال صياغتها المرحّة.

وهي ليست تعبيرا عن وجهة نظر النّاكت فقط بل تعكس تجارب مجتمع بأكمله؛ ما هو إلا ممثّل عنهم، فيشكلها حسب ذوقه لتكون قصيرة حيناً وطويلة حيناً آخر، المهم أن تصبّ في الهدف المنشود وهو في الغالب - اللّامغزى- التّخفيف من آلام وهموم وعبء الحياة وضغوطها والذي لا يتحقّق إلا إذا تميّز النّاكت بصفات خاصة؛ كخفة الرّوح والقدرة على التّلاعب بالكلمات حسب نوع النّكتة للوصول إلى البعد الخاص اجتماعي أو ديني... فكلّاً منها تحمل بعدا خاصا يستفيد منه الفرد الجزائري في حياته، ثم ينقله إلى أجيال بعده من أبناء وأحفاد، ليبقى هذا اللّغز الشعبيّ موروثا ثقافيا تتناقله الأجيال كمصليح ومقوم لكلّ اعوجاج في السلوكات أو الأخلاق والقيم.

### 5.2 تعميق التّراث والأغنية الشعبيّة:

كانت الأغنية الشعبوية الجزائرية خير سفير للموروث الثقافي، وخير ممثّل يعكس عادات وتقاليد ومعتقدات الشعوب المتباينة، رغم أنّها "قصيدة مجهولة النشأة بمعنى أنها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمنة طويلة" (العنتيل، 1987، صفحة 247) لكنّها جسّدت مختلف قيم وأخلاق البيئة التي نشأت فيها، فهي كنزهم وثروتهم الشعبوية رغم كونها أكثر عناصر الأدب الشعبي عرضة للتغيير، نتيجة عوامل عدة أهمها: نسيان بعض كلماتها، أو تغير اللهجة من منطقة إلى أخرى مما يستوجب استبدالها بأخرى مرادفة لها، لكن ما زادها إقبالا وساهم في انتشارها الواسع وضمّن لها البقاء والتداول رغم تعدد الظروف وتغير الأحوال، هو امتزاجها باللحن الموسيقي بواسطة آلات موسيقية تقليدية، عمّقت في تراثيتها ووسعت دائرة شعبيتها وأثّرت على فكر ووجدان المؤدي فردا أو جماعة وكذلك المستمع، رغم جهلنا بقائلها الأول الذي يُنسى مع مرور الوقت "يقول يعقوب جرم في هذا المجال: كم أكون سعيدا بنشاطي الروحي لو أنني ألّفت أغنية تعلق بها الشعب بأسره وردّها جميعا، دون أن يحاول البحث عن مؤلفها، إنّه لمن العيب حينئذ أن أحاول ادعاء ملكيتي لهذه الأغنية، لأنّها أصبحت حقّا ملكا للشعب" (إبراهيم، د ت، صفحة 59)

أمّا عن موضوعها، فهي تخوض في مختلف قضايا المجتمع الجزائري، والتي لها علاقة بالحياة اليومية المعاشة لتُعتمد في مناسبات مختلفة من زواج، ختان، موسم حصاد والمولد النبوي الشريف... غير مقتصرة على الأفراح فحسب بل تعبّر في أحيان كثيرة عن مشاق الحياة وقساوتها، والأغنية الجزائرية خير دليل حين اعتمدت موضوع الثورة والاستعمار في محتواها كما تناولت الإصلاح والتّهنيد بعد الاستقلال، لكنّها فرضت نفسها على السّاحة الفنية وضمّنت لنفسها الديمومة والانتشار حاملة على جناحها الموروث الثقافي للبيئة الأم التي انتشرت فيها، باثة إياه في بيئة أخرى لتتناقله الأجيال فيما بعد وترسخه في أذهان الأبناء والحفدة كإرث قومي ووطني تجب المحافظة عليه.

### 3. عناصر الأدب الشعبي ومدى صمودها أمام مغريات العولمة.

سيطرت العولمة كظاهرة غربية على العالم بمختلف شرائحه، وهيمنت على كلّ مجالات الحياة، وهو أمر مثير للقلق على مستقبل الأدب الشعبي بتنوع عناصره، حيث ستجعل هذا الجيل يتكيف معها ويحجم عن البحث في ماضيه وأصوله لما يراه فيه من قديم وتخلّف أمام بريق ومهرج العولمة، خاصة منها وسائل التّواصل والاختراعات الحديثة التي لها في كل يوم مولود جديد، وهذا وارد أمام مساعها لشنّ الهجوم الشرس بعدتها المتطورة على كلّ ما هو خطر عليها، وبالتالي نشر وتعميم ثقافتها وهويتها وطمس كلّ ما عدا ذلك؛ خاصة في مجال العولمة الثقافية التي تُعدّ "من أكثر الأبعاد تأثيرا على هوية الفرد والجماعة معا، وبالتالي صمود أو ذوبان مجموعة من الكيانات القومية المستهدفة، وفي مقدّمها الكيان العربي الإسلامي" (درويش، 2003، صفحة 38) بما في ذلك كلّ ما يمتّ للهوية بصلة من ثقافات، عادات أو تقاليد أو غيرها، فتتصرّفها لتمحو أثرها، رغم أنّ ذلك يستغرق وقتا مُعتبرا، لأنّه قد يتلقّى صيدا ومواجهة ومقاومة، لكنّها لن تستسلم وستتسلل إلى فريستها كما تتسلّل الأفعى ناعمة الملمس لتستدرج فريستها رويدا رويدا وتضعف الطّرف الآخر بانقسامهم إلى طرفين بين مؤيد ومعارض، لتصل إلى هدفها الأسمى وهو القيم والأخلاق التي من شأنها أن تقلب كلّ الموازين، خاصة إذا تغلّغت إلى قلب الأمة ووصلت إلى كيانها وهو الأسرة، التي تعتمد في بقاء أصولها المحكمة على الأدب الشعبي الذي يمثل الموروث الثقافي للأمة الجزائرية خاصة والعربية عامة، فهل تتمكن العولمة من طمس هوية الشعوب عن طريق الإخلال بأدبهم الشعبي ومحاولة محو آثاره بشنّى السبيل؟

### 4. خاتمة:

مهما كانت ضراوة الحرب الشرسة للعولمة ضدّ أصالة التّراث ومهما ضاعفت من محاولاتها من أجل محو آثاره من سجل التّاريخ لن تكسر السور الحامي، لن تخترق سياج الحدود ولن تكون مهمتها سهلة أبدا في التّوغل والوصول إلى النقاط الحساسة التي من شأنها أن تحطّ من مكانة الأمة وعزّتها، ولن تتمكن من جعل الفرد يحيد عن أصوله، لقد ظننت أنّه من السهل عليها العبث

والتدمير والتلاعب كما تشاء بنشر أساليبها الجديدة المتخفية وراء التكنولوجيا، لقد سعت إلى تحطيم المعالم الأخلاقية والقيم السلوكية من خلال جعل الناشئة يميل إلى مستجداتها، فيكبرون على قيم غير قيم أجدادهم ويتألفون على مبادئ وأعراف غير التي ألفها أبائهم، بعيدا عن تراثهم الثقافي حتى لا يجدون فيما بعد ما يستندون إليه في توجيههم وإرشادهم إلى السبل الخيرة التي من شأنها أن تحفظ الهوية العربية الإسلامية، هيات أن يتحقق ذلك هيات مادمت عناصر الأدب الشعبي حصنا منيعا ضد كل من تخول له نفسه المساس بكرامة الأمة العربية الإسلامية.

يجب على الفرد أن يأخذ من العولمة ما من شأنه أن يساعد في ترسيخ ماضيه، وتثبيت حاضره وبناء مستقبله، فمصير الأمة بين يديه، إما أن يعزها بالحفاظ على تراثها وما يحمله بين طياته من قيم فكرية، سلوكية، اجتماعية، أخلاقية وثقافية ويستنها كقوانين للحياة، وإما أن يذلها باستسلامه أمام سلطة العولمة وأسلحتها التكنولوجية التي هدفها أن ترى التراث الشعبي نسيا منسيا، زوال واندثار.

الأدب الشعبي مرآة تعكس أصالة الشعوب ومدى محافظتها على تاريخها الثقافي وإرثها الفكري والفني، والشعب الجزائري دافع من أجل استرجاع السيادة الوطنية بما فيها من تاريخ وذاكرة، والتي يمثل الأدب الشعبي جزءا هاما منها، حتى أصبحنا نرى أن تدريسه في مؤسساتنا التربوية بات ضرورة ملحة، لما له من دور فعال في تعليم القيم وتغيير السلوك والحفاظ على الهوية. فليكن شعار الجميع: (انتشار الأدب الشعبي كرامتنا، تداوله عزتنا، حمايته مهمتنا). عشاق الأدب الشعبي وجنوده.

### 5. قائمة المراجع:

#### • القرآن الكريم.

#### • المؤلفات:

1. فتحي إبراهيم (1986)، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ط1..
2. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
3. بن نعمان أحمد (1988)، سمات الشخصية الجزائرية في منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط..
4. درويش أحمد (2003)، ثقافتنا في عصر العولمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، جيزة، مصر، ط1..
5. قريش روزلين ليلي (2007)، القصة الشعبية الجزائرية (ذات الأصل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط..
6. سعدي محمد (1998)، الأدب الشعبي (بين النظرية والتطبيق)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط..
7. العنتيل فوزي (1987)، الفولكلور ما هو؟ مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2..
8. الجوهري محمد (2006)، مقدّمة في دراسة التراث الشعبي المصري، جامعة القاهرة، مصر، ط1..
9. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

#### المقالات:

1. محمد سيد أحمد (1981)، البحث عن الشخصية من خلال الأمثال الشعبية، مجلة الثقافة، العدد 65، ذو القعدة-ذو الحجة 140 هـ سبتمبر-أكتوبر.
2. بلحاجي فتيحة (2019)، تداولية الأدب الشعبي بين الماضي والحاضر، دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 1، العدد 1، مارس.